

سياسية معينة شكلت نبراساً لتصرفه الوطني ، وكانت تقوده في مجال التفاعل مع الأحداث . من هنا ، يمكن للمرء أن يعتبر عمر الزعني مثقفاً ليبرالياً سعى جهده في كل إنتاجه لأن يكون مخلصاً لشعبه وبيئته من خلال أقصى ما لديه من إمكانيات الفعل الفني . ولعله نظراً إلى عدم ارتباطه بأي تفكير سياسي مُتَمِّم إلى حزب معين ، فإن أفضل ترجمة توصل إليها لاهتمامه بالجماهير كانت في سعيه الدائب لجعل صورة المعاناة اليومية لأبناء الشعب أكثر وضوحاً واقترباً من الواقع المعيش . ولعل في تجربة الزعني هذه نقلة هامة في الفعل الأدبي لذلك العهد ، والانتقال بالكتابة الفنية من الرومنسية الحاملة أو الغارقة في الماضي إلى الواقعية الكاشفة الساعية لإنارة الحاضر والمضي المستمر على التفكير فيه . وقد يكون صحيحاً أن الزعني لم يصل دائماً إلى طرح رؤى سياسية معينة ، لكن من خلال واقعيته الجريئة في تصوير الحاضر ، كان يدفع بالناس وبقوة إلى التفكير في هذا الحاضر والبحث عن حلول لمشاكله . وهكذا لم يستطع الفكر السياسي المباشر أن يخترق قصائد الزعني ويحولها إلى نوع من البيانات الحزبية ، بيد أن الفعل الحياتي تحول في أعمال عمر إلى معاناة إنسانية تنطلق من الخاص إلى العام ، ومن الفردي الذاتي إلى الإنساني الشمولي وتظل صادقة حية موحية على مر السنين وتوالي الحقب .

إن محاولة هذه النقلة في الفعل الأدبي المعاصر قد تطلبت من عمر الزعني وعياً خاصاً ومميزاً لفهم دور الأدب والأديب ، كما تطلبت منه جهداً واضحاً وجريئاً على مستوى التقنية الفنية إن جاز التعبير . لقد عُرفَ عمر الزعني من خلال قصائده التي كان يغنيها على المسارح ومن الإذاعات والاسطوانات . وفي الحقيقة ، لم يكن للزعني صوت رخم يضعه في مصاف المطربين ، بيد أن الرجل اعتمد الأغنية وسيلة تصل من خلالها الكلمة إلى الناس ، يقوم بها الشاعر بنفسه لا بواسطة مغنين يكون الإنشاد مهنتهم . ولعل عمر كان يعتقد بأن الشاعر هو مغني الجماهير مما يُدَكَّرُ المرء بالأعشى الذي يقال إنه كان يغني بشعره فسمي صنّاجة العرب^(١٠) ، أما الأسلوب الفني الذي كان يُعبّرُ عمر به عن أدبه ، فمن أبرز معالمه استعمال اللهجة العامية ، وبالتحديد اللهجة البيروتية